الأفعال الكلامية في ديوان "وحي الحرمان" لعبد الله الفيصل في ضوء نظرية أوستن: دراسة لسانية تداولية

Speech Acts in the Poetry Collection "Wahi al-Hirman" (The Inspiration of Deprivation) by Abdullah Al-Faisal in Light of Austin's Theory: A Linguistic-Pragmatic Study

أ. رنا جمال البناوي الرويلي: طالبة ماجستير في اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الإسراء، الأردن.

المشرف: د. باسل فيصل سعد الزعبي: أستاذ مشارك في اللغة والنحو، قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب، جامعة الإسراء، الأردن.

***Ms. Rana Jamal Al-Banawi Al-Ruwaili**: Master's student in Arabic Language, Faculty of Arts, Isra University, Jordan.*

***Dr. Basil Faisal Saad Al-Zoubi**: Associate Professor of Linguistics and Grammar, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Isra University, Jordan.*

Email: ranajamal1al@gmail.com

DOI https://doi.org/10.56989/benkj.v6i9.2064

تاريخ الاستلام: 2026-07-03 تاريخ القبول: 2026-07-28 تاريخ النشر 2026-09-01

الملخص:

هدفت الدراسة إلى تحليل الفعل التأثيري في ضوء نظرية الأفعال الكلامية عند أوستن في ديوان الأمير عبد الله الفيصل وحي الحرمان، والكشف عن الأثر الذي يُحدثه الخطاب الشعري في المتلقي من خلال مقاربة لسانية تداولية تستند إلى مستويات الفعل الكلامي: القولي، والإنجازي، والتأثيري. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، القائم على استقراء النصوص الشعرية في الديوان وتصنيفها وفق هذه المستويات، مع مراعاة السياقات اللغوية والمقامية التي وردت فيها. وتوصلت الدراسة إلى أن السياق يؤدي دورًا محوريًا في تحديد المقاصد الإنجازية للألفاظ الشعرية، وأن تحليل الخطاب الشعري في ضوء التداولية يكشف عن أبعاده الدلالية والجمالية والتواصلية، كما بينت أن الأفعال التأثيرية أسهمت في بناء علاقة تفاعلية بين الشاعر والمتلقي، من خلال إثارة الانفعال الوجداني، وتحفيز التأمل، وتعزيز المشاركة الشعورية.

الكلمات المفتاحية: الأفعال الكلامية، الفعل التأثيري، التداولية، جون أوستن، الخطاب الشعري، ديوان وحي الحرمان، عبد الله الفيصل، التحليل التداولي، الإنجاز اللغوي، الشعر العربي المعاصر.

Abstract:

The study aimed to analyze the perlocutionary act in light of Austin's Speech Act Theory in Prince Abdullah Al-Faisal's poetry collection Wahy Al-Hirman (The Inspiration of Deprivation), and to examine the effect of poetic discourse on the recipient through a pragmatic linguistic approach based on the three levels of speech acts: locutionary, illocutionary, and perlocutionary acts. The study adopted the descriptive-analytical method by examining the poetic texts in the collection and classifying them according to Austin's speech act framework, while taking into account the linguistic and situational contexts in which they occurred. The findings revealed that context plays a pivotal role in determining the illocutionary force of poetic expressions, and that analyzing poetic discourse from a pragmatic perspective uncovers its semantic, aesthetic, and communicative dimensions. The study also demonstrated that perlocutionary acts contribute to establishing an interactive relationship between the poet and the recipient by evoking emotional responses, stimulating reflection, and enhancing emotional engagement.

Keywords: Speech Acts, Perlocutionary Act, Pragmatics, John L. Austin, Poetic Discourse, Wahy Al-Hirman, Abdullah Al-Faisal, Pragmatic Analysis, Illocutionary Force, Modern Arabic Poetry.

المقدمة:

شهدت الدراسات اللسانية الحديثة تحولاتٍ نوعيةً أسهمت في إعادة النظر إلى اللغة بوصفها فعلًا تواصليًّا يتجاوز حدود البنية الشكلية إلى فضاءات الاستعمال والمقصد والسياق، وقد مثّل ظهور التداولية منعطفًا مهمًا في الدرس اللساني المعاصر؛ إذ نقل الاهتمام من دراسة اللغة في ذاتها إلى دراسة اللغة في الاستعمال، والكشف عن آليات إنتاج المعنى في ضوء العلاقة التفاعلية بين المتكلم والمخاطب والسياق.

وتُعدُّ نظرية الأفعال الكلامية من أبرز المنجزات التداولية التي أسست لهذا التحول، فقد انطلقت مع الفيلسوف اللغوي جون لانغشو أوستن، الذي بيّن أن التلفظ اللغوي لا يقتصر على نقل المعلومات أو وصف الوقائع، بل يُنجز أفعالًا تتجاوز المعنى الحرفي إلى مقاصد تواصلية متعددة، وقد صاغ أوستن تصوره للأفعال الكلامية في مستويات ثلاثة: الفعل القولي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري، موضحًا أن كل ملفوظ لغوي يحمل في بنيته إمكانات إنجازية وتأثيرية تتحدد وفق شروط السياق ومقتضيات المقام.

مشكلة الدّراسة وتساؤلاتها:

تعتمد اللغة في سياقها التواصلي على التداولية، وهذا يؤدي إلى أن اللغة ليست مجرد ألفاظ بل ترتبط بسياقات مقامية ترافق اللغة اللفظية، والفعل الكلامي يتجه إلى الإنجاز بشقيه المباشر وغير المباشر، ويصاحب ذلك قوة تأثيرية، ومن رواد هذا الفكر أوستن، وأكمل المسيرة بعده سيرل.

تعمل الدراسة تعمل على إثبات توظيف الشاعر للأفعال الكلامية في النص الشعري بهدف التأثير في المتلقي انطلاقاً من المواءمة مع المقام والسياق، وتتلخص الأسئلة بما يلي:

1- كيف فعَّل الشاعر القوة الإنجازية الكامنة وراء الأقوال الشعرية ليؤثر في المتلقي؟
2- ما أهم الاستراتيجيات الخطابية التي اعتمدها الشاعر عبد الله الفيصل في المتلقي بغية تحقيق الأثر التداولي المطلوب؟

أهداف الدراسة:

بيان قوة الفعل التأثيري وراء الأقوال الشعرية في المتلقي. وتتبع الاستراتيجيات الخطابية التي اعتمدها الشاعر عبد الله الفيصل في المتلقي بغية تحقيق الأثر التداولي المطلوب.

أهمية الدراسة:

إن هذه الدراسة تتجاوز القراءات التقليدية القديمة إلى قراءات تداولية، وهي تقدم نماذج تطبيقية لنظرية أوستن على النصوص الشعرية العربية المعاصرة من الأدب السعودي الحديث؛ مما

يثري الدراسات اللسانية التداولية، وهي تهتم بتوضيح الآليات اللغوية التي يعبر بها الشاعر عن تجاربه الإنسانية.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، القائم على استقراء قصائد مختاره وتصنيفها وتحليلها في ضوء مفاهيم التداولية ونظرية الأفعال الكلامية عند أوستن؛ للوصول إلى بيان القوة التأثيرية في المتلقي.

المبحث الأول: الأفعال التأثيرية في قصيدة " لوعة"[1]

يرى أوستن أنه مع القيام بفعل القول، وما يصحبه من الفعل المتضمن في القول، قد يكون الفاعل قائماً بفعل ثالث هو "التسبب في نشوء آثار في مشاعر، أو أفكار، أو أفعال المخاطب، أو المتكلم، أو غيرهما، على نحو كان الفاعل، أي المتكلم، قد عمد إلى إيجاده". ومن أمثلته: الإقناع، التضليل، التثبيط ... إلخ. هذا الفعل يسمّى بالفعل الناتج عن القول أو الفعل التأثيري[2]. كما عرف الفعل التأثيري: بأنه يؤثر المرسل على المرسل إليه بطريقة ما[3].

أُلاَقِي مِنْ عَذَابِكَ مَا أُلاَقِي ... وَحُبُّكَ فِي حَنَايَا الْقَلْبِ بَاقِ
وَتُسْرِفُ فِي الصُّدُودِ وَفِي التَّجَنِّي ... وَأُسْرِفُ فِي الْتِيَاعِي وَاشْتِيَاقِي
وَلَوْ يَدْرِي فُؤَادُكَ مَا أُعَانِي ... وَمَا أَلْقَاهُ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ
لَمَا أَمْعَنْتَ فِي هَذَا التَّجَافِي ... وَلاَ أَذْلَلْتَ مِنْ دَمْعِي الْمُرَاقِ
وَلَكِنِّي كَتَمْتُكَ هَوْلَ مَا بِي ... وَمَا زَالَ التَّجَلُّدُ مِنْ خَلاَقِي
فَلَوْ زَعَمَ الْعَوَاذِلُ بِي سُلُوًّا ... فَكُلُّ حَدِيثِهِمْ مَحْضُ اخْتِلاَقِ
وَمَا أُبْدِي لَهُمْ غَيْرَ التَّأَسِّي ... وَإِنْ كَانَتْ ضُلُوعِي فِي احْتِرَاقِ
وَكَمْ حَسِبُوا عِنَانِي جِدَّ طَلْقٍ ... وَقَلْبِي جِدُّ مَشْدُودِ الْوَثَاقِ
وَأَخْشَى أَنْ يُقَالَ صَرِيعُ شَوْقٍ ... يُلاَقِي فِي الْمَحَبَّةِ مَا يُلاَقِي
وَأُغْرِقُ فِي ظَلاَمِ اللَّيْلِ يَأْسِي ... فَأَغْرَقُ فِي اصْطِبَاحِي وَاغْتِبَاقِي
وَأَنْهَلُ مِنْ لَمَى ذِكْرَاكَ عَذْبًا ... أُعَلُّ بِهِ وَوَهْمُ رِضَاكَ سَاقِ

[1] آل سعود، عبد الله الفيصل. (1373هـ). ديوان وحي الحرمان. ط1. القاهرة: دار المعارف بمصر، ص106.
[2] الطبطبائي، طالب سيد. (1994). نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب. الكويت: مطبوعات جامعة الكويت، ص9.
[3] روقاب، جميلة. (2016). نظرية أفعال الكلام بين التراث العربي واللسانيات التداولية: أوستين وسورل نموذجًا. الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، (15)، ص10.

وَيَبْسُطُ لِي الْخَيَالُ ظِلَالَ أُنْسٍ أَعِيشُ بِهَا إِلَى يَوْمِ التَّلَاقِي
أُعِيذُكَ أَنْ تُعِينَ عَلَيَّ سُقْمِي مَعُونَتَكَ الدُّمُوعَ عَلَى الْمَآقِي

هذه القصيدة من النصوص الوجدانية التي يغلب عليها البوح العاطفي، غير أن وراء هذا البوح أفعالًا تأثيرية متعددة يسعى الشاعر من خلالها إلى التأثير في المخاطَب والعاذلين والمتلقي معًا، واستثارة مشاعر التعاطف والشفقة واللوم والمحبة.

وستقف الدراسة مع القصيدة بصورة مجموعات وكل مجموعة تتكون من ستة أبيات، ثم البيت الأخير مستقلاً.

أولًا: الأبيات (1 – 6)

أُلاقِي مِنْ عَذابِكَ ما أُلَاقِي *** وحُبُّكَ في حَنايا القَلْبِ بَاقِ[1]
وتُسْرِفُ في الصُّدودِ وفي التَّجَنِّي *** وأُسْرِفُ في الْتِياعِي واشْتياقِي[2]
ولَوْ يَدْري فُؤادُكَ ما أُعاني *** ومَا أَلْقاهُ مِنْ أَلَمِ الفِراقِ[3]
لَمَا أَمْعَنْتَ في هذا التَّجافِي *** ولا أَذْلَلْتَ مِنْ دَمْعي المُراقِ[4]
ولَكِنِّي كَتَمْتُكَ هَوْلَ مَا بِي *** وما زالَ التَّجَلُّدُ مِنْ خَلاقي[5]
فَلَوْ زَعَمَ العَواذِلُ بِي سُلُوًّا *** فَكُلُّ حَديثِهِمْ مَحْضُ اخْتِلاقِ[6]

الأفعال التأثيرية:

1- الاستعطاف واستدرار الرحمة:

يتجلى الاستعطاف في قوله:

أُلاقِي مِنْ عَذابِكَ ما أُلَاقِي *** وحُبُّكَ في حَنايا القَلْبِ بَاقِ[7]

وكذلك في قوله:

ولَوْ يَدْري فُؤادُكَ ما أُعاني *** ومَا أَلْقاهُ مِنْ أَلَمِ الفِراقِ[8]

[1] المرجع السابق نفسه، ص106.
[2] المرجع السابق نفسه، ص106.
[3] المرجع السابق نفسه، ص106.
[4] المرجع السابق نفسه، ص106.
[5] المرجع السابق نفسه، ص107.
[6] المرجع السابق نفسه، ص107.
[7] المرجع السابق نفسه، ص106.

فهذه التراكيب لا تقتصر على الإخبار بالمعاناة، بل تهدف إلى تحريك وجدان المحبوبة واستثارة رحمتها. فالتأثير المقصود هنا هو حمل المخاطب على مراجعة موقفه المتجافي.

2- اللوم غير المباشر:

يتجلى اللوم غير المباشر في قوله:

وتُسْرِفُ في الصُّدودِ وفي التَّجَنّي *** وأُسْرِفُ في الْتِياعِي واشْتياقِي[1]

وكذلك في قوله:

لَمَا أَمْعَنْتَ في هذا التَّجافِي *** ولا أَذْلَلْتَ مِنْ دَمْعي المُراقِ[2]

الأفعال (تُسرف، أمعنت) تحمل قوة تأثيرية فيها كثيرًا من اللوم لمحبوبته التي قد تجاوزت حدود الاعتدال في الهجر والصدود، واللافت بلاغيًا أن اللوم جاء في صورة تقرير هادئ لا في صورة اتهام مباشر، مما يزيد من فاعليته النفسية.

3- إثارة الشعور بالذنب في قوله:

ولَوْ يَدْري فُؤادُكَ ما أُعاني *** ومَا أَلْقاهُ مِنْ أَلَمِ الفِراقِ[3]
لَمَا أَمْعَنْتَ في هذا التَّجافِي *** ولا أَذْلَلْتَ مِنْ دَمْعي المُراقِ[4]

يقيم الشاعر علاقة شرطية بين العلم بحاله وبين تغيير السلوك، والغرض التأثيري هنا هو دفع المخاطب إلى الإحساس بالتقصير والندم، وكأنه يقول: لو علمت حقيقة ما أعانيه لما فعلت ما تفعل.

4- دحض دعاوى العاذلين في قوله:

فَلَوْ زَعَمَ العَواذِلُ بِي سُلُوًّا *** فَكُلُّ حَديثِهِمْ مَحْضُ اخْتِلاقِ[5]

يسعى الشاعر إلى التأثير في السامع بإقناعه بكذب مزاعم العاذلين، وإثبات صدق عاطفته واستمرارها، وهنا يتحول الخطاب من التأثير الوجداني إلى التأثير الإقناعي.

---

[8] المرجع السابق نفسه، ص106.
[1] المرجع السابق نفسه، ص106.
[2] المرجع السابق نفسه، ص106.
[3] المرجع السابق نفسه، ص106.
[4] المرجع السابق نفسه، ص106.
[5] المرجع السابق نفسه، ص107.

5- الشرط الامتناعي في قوله: لَوْ يَدْري فؤادُك...لَمَا أَمْعَنْت

أسلوب شرطي يكشف حسرة الشاعر، ويُشعر المتلقي بأن الحل ممكن لو تحقق العلم بحقيقة المعاناة.

6- التكرار لإثبات المعاناة:

ما ألاقي... ما أعاني... ما ألقاه

تكرار معجم الألم يرسّخ أثر المعاناة في نفس المتلقي.

ثانيًا: الأبيات (7 - 12)

ومَا أُبْدي لَهُمْ غَيْرَ التَّأَسّي *** وإِنْ كَانَتْ ضُلُوعِي في احْتِراقِ[1]
وكَمْ حَسِبوا عِناني جِدَّ طَلْقٍ *** وقَلْبي جِدُّ مَشْدودِ الوَثاقِ[2]
وأَخْشَى أَنْ يُقالَ صَريعُ شَوْقٍ *** يُلاقي في المَحَبَّةِ ما يُلاقي[3]
وأُغْرِقُ في ظَلامِ اللّيلِ يَأْسي *** فأَغْرَقُ في اصْطباحِي واغْتِباقِي[4]
وأَنْهَلُ مِنْ لَمَى ذِكْراكَ عَذْبًا *** أُعَلُّ بِهِ وَوَهْمُ رِضاكَ ساقِ[5]
ويَبْسُطُ لِي الخَيالُ ظِلالَ أُنْسٍ *** أَعِيْشُ بِها إِلَى يَوْمِ التَّلاقِي[6]
أُعَيْذُكَ أَنْ تُعِيْنَ عَلَيَّ سُقْمِي *** مُعونَتَكَ الدُّموعَ عَلَى المَآقِي[7]

الأفعال التأثيرية:

1- استثارة التعاطف:

تظهر في قوله في عجز البيت الأول في المقطع الثاني: ضُلُوعِي في احْتِراقِ.

وقوله: وقَلْبي جِدُّ مَشْدودِ الوَثاقِ.

ينقل الشاعر معاناته بصور حسية مؤثرة تُحدث أثرًا وجدانيًا قويًا في المتلقي، فالغاية ليست مجرد الوصف، بل حمل السامع على الشعور بألمه.

[1] المرجع السابق نفسه، ص107.
[2] المرجع السابق نفسه، ص107.
[3] المرجع السابق نفسه، ص108.
[4] المرجع السابق نفسه، ص108.
[5] المرجع السابق نفسه، ص108.
[6] المرجع السابق نفسه، ص108.
[7] المرجع السابق نفسه، ص109.

2- تصحيح الصورة الذهنية:

في قوله:

وكَمْ حَسِبوا عِناني جِدَّ طَلْقٍ *** وقَلْبي جِدُّ مَشْدودِ الوَثاقِ[1]

يسعى الشاعر إلى تغيير الانطباع الخاطئ لدى الناس، والأثر التأثيري هنا يتمثل في إقناع المتلقي بأن ظاهر الصبر يخفي باطنًا مثقلًا بالمعاناة.

3- استدرار الشفقة في قوله:

وأَخْشَى أَنْ يُقالَ صَريعُ شَوْقٍ *** يُلاقي في المَحَبَّةِ ما يُلاقي[2]

فالخوف من أن يصبح مثالًا للعاشق الهالك يهدف إلى إثارة الشفقة واستحضار هول ما وصل إليه حاله.

4- الإيحاء بعمق التعلق في قوله:

وأَنْهَلُ مِنْ لَمَى ذِكْراكَ عَذْبًا *** أُعَلُّ بِهِ وَوَهْمُ رِضاكَ ساقِ[3]

يريد الشاعر التأثير في المحبوبة بإظهار أن الذكرى أو الوهم كافيان لإبقائه حيًّا. وهو من أبلغ ضروب الاستمالة العاطفية.

5- بعث الرجاء في قوله:

ويَبْسُطُ لِي الخَيالُ ظِلالَ أُنْسٍ *** أَعِيْشُ بِها إِلَى يَوْمِ التَّلاقِي[4]

يتحول التأثير من الحزن إلى الأمل، فيغرس في المتلقي شعورًا بأن الحب ما يزال حيًّا وقادرًا على انتظار اللقاء.

ثالثًا: البيت الأخير

أُعِيذُكَ أَنْ تُعِينَ عَلَيَّ سُقْمِي *** مُعونَتَكَ الدّموعَ على المآقي[5]

[1] المرجع السابق نفسه، ص107.
[2] المرجع السابق نفسه، ص108.
[3] المرجع السابق نفسه، ص108.
[4] المرجع السابق نفسه، ص108.
[5] المرجع السابق نفسه، ص109.

الفعل التأثيري الرئيس هو الالتماس والاسترحام فهذا البيت يمثل الذروة التأثيرية في القصيدة كلها، فالشاعر لا يطلب الوصال مباشرة، وإنما يلتمس من محبوبته ألا تزيد ألمه ألمًا.

وقوله: أُعيذك

يتضمن دعاءً ظاهره التلطف وباطنه الرجاء العميق، فالغاية التأثيرية هي حمل المخاطب على الكف عن أسباب المعاناة، ويظهر حسن الختام في أنّ الشاعر اختتم قصيدته بالرجاء بعد الشكوى، وبالاستعطاف بعد اللوم، فانتقل من وصف الأثر إلى محاولة تغييره، وهو بناء فني محكم يحقق أقصى درجات التأثير العاطفي.

ومن خلال تحليل الدراسة لهذه القصيدة ترى أنّ الأفعال التأثيرية في القصيدة تتوزع بين: الاستعطاف واستدرار الرحمة، واللوم غير المباشر للمحبوبة، وإثارة الشعور بالذنب والتقصير، وإقناع العاذلين والمتلقي بصدق الحب، واستمالة المحبوبة عاطفيًا، وبعث الأمل والرجاء في اللقاء.

ولذلك يمكن القول إن الوظيفة التأثيرية المهيمنة على القصيدة هي الاستعطاف الوجداني؛ إذ جعل الشاعر من معاناته وسيلة للتأثير في قلب محبوبته.

مفارقة الحرمان بين "وحي العاطفة" و"واقع الجاه":

ينطلق الفعل التأثيري في هذه القصيدة من صدمة المتلقي الذي يتساءل: كيف لمَن يملك "المال والجاه والسلطة" أن يصف نفسه بالمحروم؟ هذا التساؤل هو المحرك الأول لاستجابة القارئ، حيث ينقله الشاعر من عالم "المظاهر الخارجية" إلى "جوهر المعاناة النفسية".

1. تأثير "المواجهة غير المتكافئة" (التأرجح بين الصدود والإسراف):

يترك المطلع أثراً درامياً في نفس القارئ عبر استخدامه لثنائية "الإسراف":

في قوله:

وتُسْرِفُ في الصُّدودِ وفي التَّجَنِّي *** وأُسْرِفُ في الْتِياعِي واشْتياقِي[1]

الأثر التأثيري: يشعر القارئ بحالة من عدم التوازن؛ فبينما يسرف الطرف الآخر في "النفور"، يسرف الشاعر في "الاشتياق" هذا التقابل يولد لدى المتلقي نوعاً من "التعاطف الوجداني" مع الأنا الشاعرة، ويخلق حالة من السخط الضمني على "الطرف المتجني" الفعل التأثيري هنا هو "الاستمالة" نحو قضية الشاعر العادلة في الحب.

[1] المرجع السابق نفسه، ص106.

2. سيكولوجية "الكتمان" وأثره في القارئ (التجلد كفعل تأثيري):

في قوله:

ولَكِنّي كَتَمْتُكَ هَوْلَ مَا بِي *** وما زالَ التَّجَلُّدُ مِنْ خَلاقي[1]

الأثر التأثيري: هنا يصطدم القارئ بشخصية الشاعر "العزيز"؛ فهو رغم حطام قلبه، يرفض استجداء العطف هذا "التجلد" يرفع من قيمة المعاناة في عين المتلقي؛ فالحرمان الذي يُكتم أشد وقعاً من الذي يُعلن ينتقل التأثير هنا من "الشفقة" إلى "الإعجاب" بفروسية الشاعر الأخلاقية، وهو ما يفسر قوله في مقدمة الديوان "أنا محروم"؛ إذ إن حرمان النفس الشريفة هو الحرمان الحقيقي.

3. الفعل التأثيري "للمفارقة" (الظاهر والباطن):

وقوله:

وكَمْ حَسِبوا عِناني جِدَّ طَلْقٍ *** وقَلْبي جِدُّ مَشْدودِ الوَثاقِ[2]

يضع الشاعر القارئ في مكانة "الشريك في السر" فالناس (العواذل) يرون القشور (العنان الطلق)، بينما المتلقي وحده من يرى الجوهر (القلب المشدود) هذا الفعل التأثيري يخلق "علاقة خاصة" بين النص والقارئ، تجعله يشعر بالتميز لأنه يدرك حقيقة "الحرمان" الكامن وراء بريق "الجاه".

4. تأثير "الصورة المتخيلة" (الاستغراق في الوهم):

وقوله:

ويَبْسُطُ لِي الخَيالُ ظِلالَ أُنْسٍ *** أَعِيْشُ بِها إِلَى يَوْمِ التَّلاقِي[3]

الأثر التأثيري: يصل الفعل التأثيري إلى ذروته في الأبيات الأخيرة؛ حيث يقر الشاعر بأن حياته تقوم على "الوهم" و"الخيال" القارئ هنا يخرج من حالة الحيرة إلى حالة "التفهم الوجودي" لمعنى الحرمان؛ فالحرمان ليس فقدان المادة، بل هو العيش في "ظلال الخيال" بينما الواقع جفاف، التأثير هنا هو "الدهشة" من قدرة الشاعر على تحويل "الوهم" إلى "قوت" نفسي يعيش به.

توصلّت الباحثة إلى إن الفعل التأثيري في هذه القصيدة ينجح في إعادة تعريف "الحرمان" لدى القارئ؛ فهو ليس فقراً مادياً، بل هو "العذاب الشريف" الذي يلاقيه صاحب الجاه حين يسقط

[1] المرجع السابق نفسه، ص107.
[2] المرجع السابق نفسه، ص107.
[3] المرجع السابق نفسه، ص108.

صريعاً للشوق يخرج القارئ من القصيدة وهو يدرك أن "ألم الفراق" و"دمع المآقي" لا تمنعهما الحصون ولا يداويهما المال، مما يرسخ فكرة "وحي الحرمان" كحالة إنسانية شاملة تتجاوز الطبقات الاجتماعية.

المبحث الثاني: الأفعال التأثيرية في قصيدة "فيم التساؤل؟"[1]

حَالِي بِمُعْتَرَكِ الْحَوَادِثِ حَالِي ... فِيمَ السُّؤَالُ وَلَاتَ حِينَ سُؤَالِ
فِيمَ التَّسَاؤُلُ والسُّؤَالُ وَقَدْ بَدَا ... لَكَ ما تَرَى مِنْ مِحْنَتِي وَهُزَالِي
أَأَنَا الْمَلُومُ لِأَنَّنِي أَنْزَلْتُ آمَالِي ... بِمَوْكِبِ حُسْنِكَ الْخَذَّالِ؟
أَمْ كَانَ حُسْنُ الظَّنِّ مِنِّي زَلَّةً ... جُوزِيتُ عَنْهَا فَاجِعَ الْأَهْوَالِ
لَمْ أَلْقَ مِنْ صَفْحٍ لَدَيْكَ وَإِنْ يَكُنْ ... ذَنْبِي إِلَيْكَ وَمِنْكَ فِي إِقْبَالِي
أَقْبَلْتُ مُحْتَشِداً إِلَيْكَ بِمُهْجَةٍ ... أَصْفَى مِنَ الْمُتَرَقْرِقِ السَّلْسَالِ
فَأَعَرْتَنِي أُذُنَ السَّمِيعِ مُعَلِّلاً ... أَمَلِي بِرِقَّةِ كَاذِبٍ خَتَّالِ
فَظَنَنْتُنِي أَضْحَيْتُ أَسْعَدَ عَاشِقٍ ... أَمْتَعْتَهُ بِرِضًى وَطِيبِ وِصَالِ
وَغَدَوْتُ أَبْسِمُ لِلْوَرَى مُتَجَاهِلًا ... عَيْنَ الرَّقِيبِ وَقَوْلَةَ الْعُذَّالِ
غَرِداً أَهُزُّ مَعَاطِفَ الْأَغْصَانِ مِنْ ... نَغَمِ الْغُدُوِّ لَدَيْكَ وَالآصَالِ
مَا يُزْعِجُ الصَّدُّ الْمُؤَرِّقُ بَالِي ... فِي حُلْمِ فِرْدَوْسٍ وَرَاحَةِ بَالِ
يَا شِقْوَةَ الآمَالِ لَمَّا أَنْ بَدَتْ ... لِلْعَيْنِ شَمْسُ وَفَاكَ وَشْكَ زَوَالِ
شَيَّعْتُهَا بِدَمِ الْجُفُونِ وَكَابَدَتْ ... فِي إِثْرِهَا عَيْنَايَ سُهْدَ لَيَالِ
وَمَشَى الْيَقِينُ إِلَيَّ بَعْدَ تَشَكُّكٍ ... فِي الْقَلْبِ هَيَّجَ هَمْسُهُ بَلْبَالِي
وَرَأَيْتُ كَيْفَ خُدِعْتُ فِيكَ وَطَالَمَا ... خُدِعَ الظَّمَاءُ بِبَارِقِ الْأَوْشَالِ
فَرَجَعْتُ لِلظَّمَاءِ الَّذِي هُوَ قَاتِلِي ... بَعْدَ الْفِرَاقِ وَخَيْبَةِ الْآمَالِ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ أَجِيئَكَ عَائِبًا ... أَتُرَاكَ تُصْغِي سَاعَةً لِمَقَالِي؟
هِيَ مُنْيَةٌ عَرَضَتْ لِقَلْبٍ قَدْ سَلَا ... عَنْ وُدِّهِ لَمَّا رَآكَ السَّالِي
وَلَّى مِنَ الْحُبِّ الَّذِي وَلَّى فَمَا ... لِي نَاشِرًا مِنْهُ الصَّحَائِفَ مَالِي؟!
فَلَقَدْ طَوَيْتَ بِرَاحَتَيْكَ كِتَابَهُ ... وَدَفَنْتَ فِيهِ سَوَانِحِي وَخَيَالِي

تُعَدُّ هذه القصيدة حافلةً بالأفعال التأثيرية؛ لأن الشاعر لا يكتفي بوصف تجربته العاطفية، بل يسعى إلى إحداث أثر نفسي مباشر في المخاطَب والمتلقي معًا؛ فهو يستثير الشفقة، ويستدعي التعاطف، ويُحرّك الإحساس بالذنب، ويُعبّر عن خيبة الأمل والانكسار.

[1] آل سعود، ديوان وحي الحرمان، ص101.

ستقسِّم الدراسة النص إلى مقطعين، يضم كلٌّ منهما ستة أبيات.

المقطع الأول (الأبيات 1–6):

حَالِي بِمُعْتَرَكِ الحَوادِثِ حالي *** فِيْمَ السُّؤالُ ولاتَ حِيْنَ سُؤالِ[1]
فِيْمَ التَّساؤلُ والسُّؤالُ وقَدْ بَدَا *** لَكَ ما تَرَى مِنْ مِحْنتي وهُزالي[2]
أأنا المُلومُ لأَنَّني أَنْزَلْتُ آمالي *** بِمَوْكِبِ حُسْنِكَ الخذال؟[3]
أَمْ كانَ حُسْنُ الظَّنِّ مِنِّي زَلَّةٌ *** جُوزيتُ عَنْها فاجعَ الأَهْوالِ[4]
لَمْ أَلْقَ مِنْ صَفْحٍ لَدَيْكَ وإِنْ يَكُنْ *** ذَنْبي إِلَيْكَ ومِنْكَ في إِقْبالي[5]
أَقْبَلْتُ مُحْتَشِداً إِلَيْكَ بِمُهْجَةٍ *** أَصْفَى مِنَ المُتَرَقْرِقِ السَّلسالِ[6]

الأفعال التأثيرية في المقطع

1. إثارة الانتباه واستفزاز الوعي بالمأساة:

يفتتح الشاعر قصيدته بسلسلة من الأسئلة:

فيمَ السؤال؟
فيمَ التساؤل؟
أأنا الملوم؟
أم كان حسن الظن مني زلة؟

وهذه الاستفهامات ليست طلبًا للمعرفة، بل هي استفهامات إنكارية، غايتها التأثير في المخاطَب ودفعه إلى مراجعة موقفه، فالشاعر يريد أن يُشعر مخاطَبَه بأن معاناته ظاهرة لا تحتاج إلى سؤال، وأن ما لحق به من هزالٍ وانكسارٍ كافٍ للإدانة؛ لذا يتخلص الأثر التأثيري في إيقاظ الضمير، واستثارة الشعور بالمسؤولية والندم.

2. استدرار التعاطف واستمالة الوجدان:

يتعمّد الشاعر عرض حالته النفسية والجسدية:

[1] المرجع السابق نفسه، ص101.
[2] المرجع السابق نفسه، ص101.
[3] المرجع السابق نفسه، ص101.
[4] المرجع السابق نفسه، ص101.
[5] المرجع السابق نفسه، ص102.
[6] المرجع السابق نفسه، ص102.

محنتي... هزالي... فاجع الأهوال

ثم يصوّر نفسه بوصفه محبًّا صادقًا:

أَقْبَلْتُ مُحْتَشِداً إِلَيْكَ بِمُهْجَةٍ *** أَصْفَى مِنَ المُتَرَقْرِقِ السَّلسالِ[1]

وهذا الوصف يهدف إلى بناء صورة الضحية البريئة في مقابل المخاطَب الذي تسبب في الألم؛ لذا فالأثر التأثيري هو كسب تعاطف المتلقي وإثارة الشفقة نحوه.

3. تحميل المخاطَب مسؤولية الألم:

في قوله:

أأنا المُلومُ لأَنني أَنْزَلْتُ آمالي *** بِمَوْكِبِ حُسْنِكَ الخذال؟[2]

يُوجِّه الشاعر لومًا ضمنيًّا للمخاطَب، ويجعله مسؤولًا عن خيبة الأمل، فهو لا يلوم نفسه بقدر ما يسعى إلى إقناع المخاطَب بأن الثقة التي منحها له كانت مبرَّرة؛ فالأثر التأثيري هو إثارة الإحساس بالذنب لدى المخاطَب.

هيمنت على هذا المقطع أفعال تأثيرية غايتها: الاستعطاف، والاحتجاج، واستثارة الضمير، وطلب الإنصاف، وإظهار البراءة، وقد نجح الشاعر في تحويل الاستفهام من أداة معرفية إلى وسيلة ضغط نفسي وعاطفي.

المقطع الثاني (الأبيات 7–12)

فأَعَرْتَني أُذُنَ السَّميعِ مُعَلّلا *** أَمَلِي بِرِقَّةِ كاذِبٍ خَتّالِ[3]
فَظَنَنْتُنِي أَضْحَيْتُ أَسْعَدَ عاشِقٍ *** أَمْتَعْتَهُ بِرِضَى وطيبِ وِصالِ[4]
وغَدَوْتُ أَبْسِمُ لِلْوَرَى مُتجاهِلًا *** عَيْنَ الرَّقيبِ وقَوْلَةَ الـعُذَّالِ[5]
غَرِداً أَهُزُّ مَعاطِفَ الأَغْصانِ مِنْ *** نَغَمِ الغُدُو لَدَيْكَ والآصالِ[6]
ما يُزْعِجُ الصَّدُّ المُؤَرِّقُ بالي *** في حُلْمِ فِرْدوسٍ وراحَةِ بالِ[7]

[1] المرجع السابق نفسه، ص102.
[2] المرجع السابق نفسه، ص101.
[3] المرجع السابق نفسه، ص102.
[4] المرجع السابق نفسه، ص102.
[5] المرجع السابق نفسه، ص103.
[6] المرجع السابق نفسه، ص103.
[7] المرجع السابق نفسه، ص103.

يـا شِقْوةَ الآمـالِ لَـمَّا أَنْ بَدَتْ *** لِـلْعَيْنِ شَمْسُ وفاكَ وَشْكَ زوالِ[1]

الأفعال التأثيرية في المقطع:

1. كشف الخديعة وإثارة الشعور بالذنب:

يقول الشاعر:

فـأَعَرْتَنـي أُذُنَ السَّميعِ مُعَلّلا *** أَمَـلـي بِرِقَّةِ كـاذِبٍ خَـتّالِ[2]

يكشف هنا أن المخاطَب لم يكن صادقًا في تعاطفه، بل أوهمه بالقبول والمودة، ووصفه بـ"الكاذب الختّال" لا يراد منه الوصف فحسب، بل إحداث أثر نفسي يتمثل في التوبيخ والإدانة، فالأثر التأثيري هو تأنيب المخاطَب وكشف مسؤوليته الأخلاقية.

2. نقل المتلقي من الفرح إلى الصدمة:

يُصوِّر الشاعر حالته بعد ذلك الوهم الجميل وذلك في قوله: أَضْـحَيْتُ أَسْعَدَ عاشِقٍ

وقوله: وغـدَوْتُ أَبْـسِمُ لِلْوَرَى

وقوله: غَرِداً أَهُزُّ مَعاطِفَ الأَغْصانِ

ثم يُفاجئ المتلقي بانهيار هذا الحلم حين يقول: ما يُزْعِجُ الصَّدُّ المُؤَرِّقُ بالي.

وقوله: يا شقوةَ الآمالِ

هذا الانتقال الحاد بين الفرح والانكسار يضاعف الأثر النفسي فيظهر تعميق الإحساس بالمأساة وإثارة الحزن والأسى.

3. استثارة الإشفاق عبر صورة الأمل الزائل:

يقول:

يـا شِقْوةَ الآمـالِ لَـمَّا أَنْ بَدَتْ *** لِـلْعَيْنِ شَمْسُ وفاكَ وَشْكَ زوالِ[3]

فالنداء هنا ليس حقيقيًّا، وإنما هو نداء تفجعي يُجسِّد خيبة الأمل، وقد شبَّه الأمل بالشمس التي أشرقت ثم أوشكت على الأفول، فالأثر التأثيري هو إثارة الحسرة والأسى في نفس المتلقي. وتركَّزت الأفعال التأثيرية في هذا المقطع حول: التوبيخ، وكشف الخداع، واستدرار التعاطف،

[1] المرجع السابق نفسه، ص103.
[2] المرجع السابق نفسه، ص102.
[3] المرجع السابق نفسه، ص103.

وتعميق الإحساس بالفقد، وإثارة الحزن والشفقة، وقد أسهم الانتقال من أجواء السعادة المتخيَّلة إلى واقع الخذلان في تعزيز قوة التأثير الوجداني للنص.

تقوم البنية التأثيرية في القصيدة على استراتيجية تداولية واضحة، تتمثل في انتقال الشاعر من:

الاستفهام الاحتجاجي ← الاستعطاف ← اللوم الضمني ← كشف الخداع ← التفجع والحسرة.

وبذلك ترى الباحثة أنّه لا يصبح الخطاب في هذه القصيدة مجرد وصفٍ لتجربة ذاتية، بل يتحول إلى فعلٍ تواصلي يهدف إلى إحداث استجابات نفسية محددة لدى المخاطَب، أهمها: الإحساس بالذنب، والتعاطف مع الشاعر، والإقرار بصدق مشاعره، والتفاعل الوجداني مع معاناته، وهذا التنامي التأثيري يُعد من أبرز مظاهر نجاح القصيدة في توظيف الأفعال الكلامية بوصفها أدوات فنية لإنتاج الأثر الجمالي والانفعالي.

صدمة الاستفاقة وانكسار "الأنا" الرفيعة:

يرتكز "الفعل التأثيري" في هذه القصيدة على نقل القارئ من حالة "التساؤل الفضولي" حول سبب محنة الشاعر، إلى حالة من "المشاركة الوجدانية" في خيبة أمل كبرى. الشاعر هنا لا يشتكي فقط، بل يضع القارئ أمام مرآة "الخديعة" التي قد يتعرض لها أسمى الناس نفساً وأرفعهم جاهاً.

1. **تأثير "الصد الصادم" (إسكات المتلقي) في قوله:**

حَالِي بِمُعْتَرَكِ الحَوادِثِ حالي *** فِيْمَ السُّؤالُ ولاتَ حِيْنَ سُؤالِ[1]

وقوله:

فِيْمَ التَّساؤلُ والسُّؤالُ وقَدْ بَدَا *** لَكَ ما تَرَى مِنْ مِحْنتي وهُزالي[2]

يبدأ الشاعر بفعل تأثيري "هجومي" يسكت فيه فضول القارئ، وهذا التمنع عن الإجابة في المطلع يثير في نفس المتلقي حالة من "الترقب المشوب بالحذر"؛ فالحال التي يراها القارئ (المحنة والهزال) أبلغ من أي شرح، والتأثير هنا يكمن في تحويل القارئ من "مستمع محايد" إلى "شاهد عيان" على مأساة لا تحتمل التفسير.

2. **مفارقة "المحتشد" و"الخذال" (توليد السخط)، ويظهر هذا في قوله:**

أَقْبَلْتُ مُحْتَشِداً إِلَيْكَ بِمُهْجَةٍ *** أَصْفَى مِنَ المُتَرَقْرِقِ السَّلسالِ[3]

[1] المرجع السابق نفسه، ص101.
[2] المرجع السابق نفسه، ص101.

وقوله:

أأنا المُلومُ لأنّني أَنْزَلْتُ آمالي *** بِمَوْكِبِ حُسْنِكَ الخذال؟[1]

ينجح الشاعر في إثارة "سخط" القارئ على الطرف الآخر (المحبوب) فكلمة "محتشداً" توحي بصدق النية وكثافة العاطفة، بينما "الخذال" تترك أثراً سلبياً ومنفراً من المحبوب، هذا التباين يخلق "فجوة تأثيرية" تجعل القارئ يتبنى موقف الشاعر فوراً، ويشعر بمرارة "الظلم" الذي وقع على نفس أصفى من "المترقرق السلسال".

3. تأثير "النشوة الزائفة" (الخداع الدرامي) والشاهد على ذلك قوله:

فَظَنَنْتُنِي أَضْحَيْتُ أَسْعَدَ عاشِقٍ *** أَمْتَعْتَهُ بِرِضًى وطيبِ وِصالِ[2]

وقوله:

غَرِداً أَهُزُّ مَعاطِفَ الأَغْصانِ مِنْ *** نَغَمِ الغُدُو لَدَيْكَ والآصالِ[3]

في وسط القصيدة، يأخذ الشاعر القارئ إلى لحظة من "الوهم الجميل" هذا الانتقال يترك أثراً "تخديرياً" مؤقتاً، حيث يبتسم القارئ لابتسام الشاعر، لكن هذا "الفعل التأثيري" مقصود لزيادة شدة الصدمة اللاحقة؛ فالقارئ الذي عاش مع الشاعر "حلم الفردوس" سيتألم أكثر حين يرى هذا الفردوس ينهار، مما يعمق تجربة "الحرمان" في نفس المتلقي.

4. سيكولوجية "الظمأ القاتل" (تأثير الخيبة النهائية) من ذلك قوله:

ورأيتُ كَيْفَ خُدِعْتُ فيك وطالما *** خُدِعَ الظِّماءُ بِبارِقِ الأَوْشالِ[4]

وقوله:

فَرَجَعْتُ للظّماء الذي هو قاتلي *** بَعْدَ الفِراقِ وخَيْبَةِ الآمالِ[5]

يترك ختام القصيدة أثراً "جنائزياً" في النفس حيث صورة الشاعر وهو يعود إلى "الظمأ" بعد أن كان على ضفاف "الوصال" تترك القارئ في حالة من اليأس المطبق، والفعل التأثيري هنا هو

[3] المرجع السابق نفسه، ص102.
[1] المرجع السابق نفسه، ص101.
[2] المرجع السابق نفسه، ص102.
[3] المرجع السابق نفسه، ص103.
[4] المرجع السابق نفسه، ص104.
[5] المرجع السابق نفسه، ص104.

"الاستسلام للواقع المر"؛ فالقارئ يدرك مع الشاعر أن "اليقين" الذي مشى إليه كان يقيناً بالموت العاطفي (الدفن، الطي).

الفعل التأثيري:

تكمن قوة القصيدة تأثيرياً في قدرتها على "تعرية" الضعف الإنساني خلف قناع القوة والجاه، ولقد استطاع الشاعر أن يجعل "حرمانه" قضية إنسانية عامة؛ فالقارئ لا يرى فيه "صاحب السلطة"، بل يرى فيه "الإنسان الخدوع" الذي آمن بالجمال فخانه الجمال، هذا "الفعل التأثيري" يحول تجربة الشاعر الفردية إلى "دروس وجدانية" عن ماهية الثقة وخيبة الأمل، مما يجعل القارئ يخرج من النص محلاً بالشك في "بارق الأوشال" التي قد تخدع القلوب الظمأى.

تمثل قصيدة "فيم التساؤل" نقطة تحول شعورية فارقة؛ فهي ليست مجرد أبيات في العتاب، بل هي عملية "تطهير" نفسية للشاعر، وصدمة وعي للمتلقي.

أولاً: الأثر في نفس الشاعر (سيكولوجية المبدع):

بالنسبة للشاعر، كان للقصيدة أثر "تحرري" رغم مرارته، ويمكن تلخيصه في النقاط التالية:

- استعادة السيادة الأخلاقية: من خلال قوله (أأنا الملوم؟)، يمارس الشاعر فعلاً دفاعياً يحمي به كرامته، فالقصيدة هنا هي الوسيلة التي نقلت الشاعر من حالة "المُتهم" بذنوب الحب إلى حالة "القاضي" الذي يحاكم الخداع.
- التخلص من سطوة "الوهم": الأثر الأكبر كان في التحول من "الظن" (فَظَنَنْتُنِي أَضْحَيْتُ أَسْعَدَ عاشِقٍ) إلى "اليقين" (ومَشَى اليقينُ إليَّ بَعْدَ تَشَكُّكٍ)، القصيدة هي اللحظة التي أعلن فيها الشاعر "موت الأمل الزائف"، وهو أثر مريح نفسياً رغم قسوته؛ لأن مواجهة الحقيقة أهون على النفس الشريفة من العيش في الخديعة.
- ترميم الذات عبر "الدفن": حين قال: (ودَفَنْتَ فيه سوانحي وخيالي)، كان يمارس طقساً من طقوس الوداع أثر القصيدة في نفسه كان بمثابة "إغلاق للملف" وبتر لذكرى مؤلمة، مما يمنحه فرصة للبدء من جديد بعيداً عن "بارق الأوشال".

ثانياً: الأثر في نفس المتلقي (سيكولوجية القارئ):

يتركز الأثر في المتلقي حول "تحطيم التوقعات" وإثارة التساؤلات الوجودية:

- الدهشة من "ضعف القوي": يترك النص في نفس المتلقي أثراً من الحيرة؛ كيف لهذا الشاعر (الذي يمتلك الجاه والمنعة) أن يبدو بهذا الهزال والانكسار؟ هذا الأثر يجعل القارئ يدرك أن

"المكانة الاجتماعية" لا تحمي القلب من "عذاب الوجد"، مما يخلق حالة من التواضع الإنساني المشترك.

- اليقظة والحذر: الصورة التي رسمها الشاعر لـ "الرقة الكاذبة" تترك في نفس القارئ أثراً تعليمياً (بيداغوجياً)؛ فهي تحذره من الانخداع بالمظاهر الحسنة (بِمَوْكِبِ حُسْنِكَ الخذال؟)، القارئ يخرج من القصيدة وهو يحمل "شكاً" وقائياً تجاه كل ما هو براق ولكنه زائف.

- المشاركة في "الحرمان الشريف": يشعر المتلقي بنوع من النبل والسمو في معاناة الشاعر فالأثر الذي تتركه القصيدة ليس "الشفقة المهينة"، بل هو "التعاطف مع النبل"؛ لأن الشاعر لم ينكسر من فقر، بل انكسر من فيض صدقه ووفائه مقابل خيانة الطرف الآخر.

المبحث الثالث: الأفعال التأثيرية في قصيدة " كيف الخلاص":[1]

يَا قَلْبُ حَارَبَكَ الْكَرَى	وَالْحُبُّ مِنْكَ كَمَا تَرَى
نَاءٍ يُقَرِّبُهُ الْخَيَالْ	فَاقْنَعْ وَحَسْبُكَ مَا جَرَى
فَأَنَا الَّذِي ذُقْتُ الْعَذَابْ	وَفَقَدْتُ لَذَّاتِ الشَّبَابْ
وَأَضَعْتُ عُمْرِي كُلَّهُ	مَا بَيْنَ أَصْدَاءِ الْعِتَابْ
اَلْكَوْنُ يَغْمُرُهُ الضِّيَاءْ	وَتَزِينُهُ شَمْسُ السَّمَاءْ
وَأَنَا الَّذِي غَمَرَ الظَّلَامْ	رُوحِي وَأَضْنَاهَا الْجَفَاءْ
حَالَفْتُ سُهْدِي وَالْأَنِينْ	وَسَئِمْتُ دُنْيَا السَّادِرِينْ
فَوَأَدْتُ أَيَّامَ الصِّبَا	يَا قَلْبُ بِالْحُزْنِ الدَّفِينْ
أَمَّا الْهُجُوعُ فَلاَ هُجُوعْ	مُذْ أَنْ خَلَتْ مِنْهَا الرُّبُوعْ
إِلَّا إِذَا سَمَحَ الزَّمَانْ	يَوْمًا لِحُبِّي بِالرُّجُوعْ

تُعدُّ هذه القصيدة حقلًا ثريًّا للأفعال التأثيرية؛ إذ يقوم خطابها على حوار داخلي بين الشاعر وقلبه، وهو حوار لا يهدف إلى الإخبار فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى محاولة التأثير في المخاطَب وتوجيهه وإعادة تشكيل حالته النفسية، ومن ثمَّ فإن القيمة التداولية للنص تتجلى في سعي المتكلم إلى إحداث أثر انفعالي وسلوكي في "القلب" بوصفه مخاطبًا رمزيًّا. وفي هذه القصيدة لا يكتفي الشاعر بوصف معاناته، بل يسعى إلى تحقيق غاية نفسية محددة، هي إقناع القلب بالتخلي عن التعلق بالمحبوبة، والرضا بما آل إليه مصير الحب.

[1] آل سعود، ديوان وحي الحرمان، ص92.

الأفعال التأثيرية المباشرة:

يبرز الفعل التأثيري المباشر في قوله: فَاقْنَعْ وَحَسْبُكَ مَا جَرَى

وفي البيت الثاني الذي يقول:

نـاءٍ يُقَرِّبُهُ الـخَيال *** فـاقْنَعْ وَحَسْبُكَ ما جَرَى[1]

يمثل فعل الأمر "اقنع" فعلًا إنجازيًّا مباشرًا، أما أثره التأثيري فيتمثل في:

حمل القلب على الرضا والاستسلام للواقع، والحد من اندفاعه العاطفي، ودفعه إلى الكف عن التعلق بالماضي، وتخفيف وطأة المعاناة النفسية، ويعزز الشاعر هذا التأثير بالتركيب التوكيدي:

في قوله: وحسبك ما جرى

إذ يهدف إلى إحداث شعور بالاكتفاء واليأس من إمكانية التغيير.

الأفعال التأثيرية غير المباشرة:

تعتمد القصيدة بصورة أكبر على التأثير غير المباشر؛ إذ يوظف الشاعر سلسلة من الأفعال الخبرية والسردية لتكوين ضغط نفسي متراكم على المخاطَب.

1. استراتيجية الاستعطاف وإثارة الشفقة:

في قوله:

فأَنا الّذي ذُقْتُ العَذابَ *** وفَقَدْتُ لَذَّاتِ الشَّباب[2]

لا يقتصر الخطاب على نقل تجربة شخصية، وإنما يهدف إلى استدرار تعاطف القلب مع صاحبه، وإقناعه بأن الاستمرار في الحب لا يجلب إلا الألم، ويتجلى الأثر التأثيري هنا في: إثارة الشفقة، وتعميق الإحساس بالخسارة، وتبرير الدعوة إلى القناعة.

2. استراتيجية التهويل والتكثيف الوجداني:

في قوله:

وأَضَـعْتُ عُمْري كُلَّهُ *** مـا بَيْنَ أَصْداءِ العِتابْ[3]

[1] المرجع السابق نفسه، ص92.

[2] المرجع السابق نفسه، ص92.

يستخدم الشاعر أسلوب التوكيد من خلال لفظة "كلّه"؛ ليُشعر القلب بفداحة الثمن الذي دفعه، والغاية التأثيرية هي: ترسيخ الشعور بالندم، وإقناع المخاطَب بعبث استمرار التجربة.

3. استراتيجية المقابلة الضدية:

يقول:

الكَوْنُ يَغْمُرُهُ الضِّياء *** وتُزينهُ شَمْسُ السَّماءْ[1]

وقوله:

وأَنَا الّذي غَمَرَ الظَّلامْ *** رُوحي وأَضْناها الجَفَاءْ[2]

يقيم الشاعر مقابلة بين عالمين: عالم خارجي مشرق، وعالم داخلي معتم. وهذه المقابلة ليست وصفًا جماليًّا فحسب، بل تؤدي وظيفة تأثيرية تتمثل في: تعميق الإحساس بالعزلة، وإبراز حجم المعاناة، ودفع القلب إلى مراجعة موقفه.

4. استراتيجية استثارة الإحساس بالفقد:

في قوله: فَوَأَدْتُ أَيَّامَ الصِّبَا

يُعدُّ الفعل "وأدتُ" من أكثر الأفعال كثافةً دلاليةً؛ إذ يستدعي صورة الدفن والإلغاء النهائي، وأثره التأثيري يتمثل في: صدمة المتلقي، وإشعاره باستحالة استعادة الماضي، وتكريس الإحساس بانتهاء مرحلة الحب.

5. استراتيجية استدعاء الأمل المؤجل:

في قوله:

إِلَّا إِذَا سَمَحَ الزَّمانْ *** يَوْمًا لِحُبِّي بِالرُّجوعْ[3]

على الرغم من هيمنة الحزن، يترك الشاعر نافذة أمل ضيقة، مما يخلق أثرًا تأثيريًّا مزدوجًا: تهدئة النفس المنهكة، والإبقاء على جذوة التعلق، وهذا التردد بين اليأس والرجاء يعكس صراعًا داخليًّا يجعل الخطاب أكثر قدرة على التأثير.

[3] المرجع السابق نفسه، ص92.
[1] المرجع السابق نفسه، ص93.
[2] المرجع السابق نفسه، ص93.
[3] المرجع السابق نفسه، ص94.

يمكن القول إن الفعل التأثيري المركزي في هذه القصيدة يتمثل في محاولة الشاعر إقناع قلبه بالتخلي عن أوهام الحب والرضا بمرارة الفراق، وقد حقق الشاعر هذا التأثير عبر آليات متعددة، منها: الأمر المباشر: "فاقنع"، والسرد الاعترافي، واستثارة الشفقة، والمبالغة في تصوير المعاناة، والمقابلات الضدية، والصور الموحية بالفقد والوأد، والمزج بين اليأس والرجاء.

ومن ثمَّ فإن الخطاب الشعري هنا لا يؤدي وظيفة تعبيرية فحسب، بل ينهض بوظيفة تداولية تأثيرية، يكون فيها "القلب" مخاطبًا ظاهرًا، بينما المتلقي الحقيقي هو كل من خبر تجربة الفقد والحرمان، وبذلك يتحول النص من بوحٍ ذاتي إلى فعلٍ لغوي يسعى إلى إحداث استجابة وجدانية عميقة لدى القارئ.

يرتكز الفعل التأثيري في قصيدة "كيف الخلاص" على نقل القارئ والشاعر معاً من فضاء "المعاناة العاطفية العابرة" إلى فضاء "المأساة الوجودية" التي ترتبط بالنهايات والموت والخلود بالذكرى.

1. الفعل التأثيري في تجربة الشاعر (سيكولوجية الذات المحرومة):

بالنسبة للشاعر، تعمل القصيدة كفعل "تطهيري" و"تحرري" يترك في نفسه آثاراً عميقة:

- أثر "الاستفاقة الوجيعة": يبدأ النص بفعل تأثيري صادم للنفس (فاقنع وحسبك ما جرى) هذا الأثر يمثل لحظة "الاستبصار" التي يدرك فيها الشاعر أن الحرمان لم يعد حالة يمكن تغييرها، بل قدراً يجب التسليم به.
- أثر "العدمية الشعورية": حين يضع الشاعر نفسه في مقابل ضياء الكون (وأنا الذي غمر الظلام روحي)، يترك ذلك في نفسه شعوراً بـ "الغربة الكونية" هذا الأثر يكرس حالة الحرمان ليس كفقدان للحبيب فحسب، بل كفقدان للشعور بالحياة والشباب.
- أثر "الخلود بالوصية": تحول الأثر النفسي من "الانكسار" إلى "السيادة الروحية" في القسم الثاني من القصيدة فمن خلال رسم مشهد القبر والزهور والركوع، يمارس الشاعر فعلاً تأثيرياً يمنحه "عزاءً استباقياً"؛ حيث يطمئن إلى أن حبّه لن يندثر بوفاته، بل سيتحول إلى طقس مقدس تمارسه المحبوبة.

2. الفعل التأثيري في نفس المتلقي (سيكولوجية الشجن النبيل):

يستقبل المتلقي هذه القصيدة كصدمة وجدانية تعيد صياغة مفاهيمه عن الحب والموت:

- أثر "الهيبة والجلال": يقع القارئ تحت تأثير "الرهبة الجنائزية"؛ فالمحب ليس مجرد شاكٍ، بل هو "صريع شوق" يكتب وصيته هذا الأثر ينقل القارئ من دائرة "التعاطف العادي" إلى دائرة "الخشوع" أمام تجربة إنسانية بلغت منتهاها.
- أثر "تأنيب الضمير الجماعي": حين يصور الشاعر ضياع عمره (وأضعت عمري كله ما بين أصداء العتاب)، يترك في نفس المتلقي أثراً من الحزن على "القيمة المهدرة" يشعر القارئ بعبثية الخصام وقسوة الجفاء، مما يولد لديه رغبة في "الخلاص" من كل صور الصدود.
- أثر "الجمال الحزين": استخدام صور (الزهور، السكون، الركوع عند الثرى) يترك في القارئ أثراً جمالياً يلطف قسوة الموت المتلقي لا يخرج من القصيدة منكسراً تماماً، بل يخرج محملاً بـ "شجن نبيل" يرى في الموفاة عهداً، وفي القبر مزاراً، وفي الحب قيمة تستحق التضحية بالعمر.

3. خلاصات الفعل التأثيري (المفارقة الوجدانية):

تترك القصيدة أثراً نهائياً يتمثل في "المفارقة الكبرى":

- للشاعر: الخلاص هو الموت بكرامة الوفاء (الخلاص من عذاب الشباب وضياع العمر).
- للمتلقي: الخلاص هو الوفاء للذكرى (الخلاص من نسيان الحبيب).

إن قصيدة "كيف الخلاص" لا تطلب من المتلقي البكاء، بل تطلب منه "الوقوف الطويل" والتأمل لقد نجح الشاعر في تحويل "حرمانه الشخصي" إلى "أثر إنساني خالد" يثبت أن الوفاء الألمعي هو القوة الوحيدة القادرة على مواجهة ظلام الروح وسكون الثرى، مما يجعل القارئ شريكاً في حفظ هذا الوداد حتى بعد رحيل صاحبه.

المبحث الرابع: الأفعال التأثيرية في قصيدة "نداء"[1]

لَا الصَّدُّ يُشْجِي وَلَا لُقْيَاكَ تُسْعِدُنِي ... فَمَا أَنَا مِثْلَ مَا قَدْ كُنْتَ تَعْهَدُنِي
فَلَا الْبَلَابِلُ تَسْبِينِي صَوَادِحُهَا ... فِي مَطْلَعِ النُّورِ إِنْ غَنَّتْ عَلَى فَنَنِ
وَلَا الزُّهُورُ إِذَا مَا الطَّلُّ بَلَّلَهَا ... تُوحِي لِيَ الشِّعْرَ أَوْ بِالْحُسْنِ تَفْتِنُنِي
وَمَا أَنَا بِالَّذِي تُغْرِيهِ بَارِقَةٌ ... مِنَ الْوِصَالِ وَلَا الْهِجْرَانُ يَهْدِمُنِي
فَقَدْ نَسِيتُ مِنَ الْأَيَّامِ أَعْذَبَهَا ... كَمَا تَنَاسَيْتُ آهَاتٍ تُعَذِّبُنِي
نَسِيتُ مَا كَانَ مِنْ حُبٍّ وَمَوْجِدَةٍ ... شُغِلْتُ عَنْهَا بِمَا يَصْبُو لَهُ وَطَنِي!
رُوحِي الْفِدَاءُ لَهُ إِنْ قِيلَ تَضْحِيَةٌ ... إِنَّ الشَّقَاءَ بِمَا يُعْلِيهِ يُسْعِدُنِي

[1] آل سعود، ديوان وحي الحرمان، ص89.

لَنْ تَعْرِفَ الْيَأْسَ رُوحِي وَالشَّبَابُ يَدٌ ... إِذَا دَهَتْنِي دَوَاهِي الدَّهْرِ تُسْنِدُنِي
فَيَا بَنِي وَطَنِي بِالْعِلْمِ سَعْدُكُمُو ... وَلَيْسَ فِي الجَهْلِ إِلَّا فَادِحُ الْمِحَنِ
فَعَرِّفُوا الغَرْبَ مَا لِلشَّرْقِ مِنْ مِنَنٍ ... فِيمَا مَضَى وَأَعِيدُوا أَطْيَبَ الْمِنَنِ
ذُودُوا الْغُوَاةَ عَنِ الْأَوْطَانِ وَانْتَبِذُوا ... مَنْ فَرَّقَ الشَّمْلَ بِالغَايَاتِ وَالْفِتَنِ

هذه القصيدة تمثل انتقالًا شعوريًا وفكريًا من الذات العاشقة إلى الذات الوطنية؛ إذ يبدأ الشاعر بإعلان انطفاء تأثير الحب وآثاره النفسية، ثم ينتهي إلى الانشغال بقضايا الوطن والدعوة إلى العلم والوحدة، ولذلك تزخر بنماذج واضحة من الأفعال الكلامية ذات البعد التأثيري والإنجازي.

الأفعال التأثيرية:

الأبيات (1–6)

لا الصَّدُّ يُشْجي ولا لُقياكَ تُسْعِدُني *** فَمَا أَنا مِثْلَ ما قَدْ كُنْتَ تَعْهَدُني[1]
فلا البَلابِلُ تَسْبيني صوادِحُها *** في مَطْلَعِ النّورِ إنْ غَنَّتْ عَلَى فَنَنِ[2]
ولا الزُّهور إذا ما الطّلُّ بَلّلَها *** تُوحي لِيَ الشِّعْرَ أوْ بالحُسْنِ تَفْتِنُني[3]
وما أنا بالّذي تُغْريْهِ بارِقةٌ *** مِنَ الوِصالِ ولا الهِجْرانُ يَهْدِمُني[4]
فَقَدْ نَسيْتُ مِنَ الأَيّامِ أَعْذَبَها *** كَمَا تناسَيْتُ آهاتٍ تُعَذِّبُني[5]
نَسيْتُ ما كانَ مِنْ حُبٍّ ومَوْجِدَةٍ *** شُغِلْتُ عَنْها بِما يَصْبو لَهُ وطني![6]

في قوله:

لا الصَّدُّ يُشْجي ولا لُقياكَ تُسْعِدُني *** فَمَا أَنا مِثْلَ ما قَدْ كُنْتَ تَعْهَدُني[7]

الفعل "يشجي" يدل على الإيلام النفسي وإثارة الحزن لكن الشاعر جاء به مسبوقًا بالنفي، فالفعل التأثيري هنا يفقد قدرته المعتادة، ويصبح دالًا على تحرر الذات من سلطان الحزن.

وفي قوله: ولا لُقياكَ تُسْعِدُني

[1] المرجع السابق نفسه، ص89.
[2] المرجع السابق نفسه، ص89.
[3] المرجع السابق نفسه، ص89.
[4] المرجع السابق نفسه، ص89.
[5] المرجع السابق نفسه، ص90.
[6] المرجع السابق نفسه، ص90.
[7] المرجع السابق نفسه، ص89.

السعادة أثر نفسي مباشر، ولذلك يعد الفعل من أبرز الأفعال التأثيرية، والنفي هنا يؤكد حالة التوازن الوجداني التي بلغها الشاعر.

وفي قوله:

فـلا البَلابِلُ تَسْبيني صـوادِحُها *** فـي مَطْلَعِ النّورِ إنْ غَنَّتْ عَلَى فَنَنِ[1]

الفعل "تسبيني" يحمل أثرًا نفسيًا قويًا؛ إذ يفيد الاستلاب والأسر الوجداني، وقد نفى الشاعر وقوع هذا الأثر، معلنًا أن جمال الطبيعة لم يعد قادرًا على التأثير فيه.

وفي قوله:

ولا الزُّهور إذا مـا الطّلُّ بَلّلَها *** تُوحي لِيَ الشِّعْرَ أوْ بالحُسْنِ تَفْتِنُني[2]

الفعل "توحي" تؤثر في الإدراك والخيال وتستثير الملكة الإبداعية، وقد جاء منفيةً؛ للدلالة على انقطاع منابع الإلهام العاطفي القديمة.

وفي قوله: أوْ بالحُسْنِ تَفْتِنُني

الفتنة أثر نفسي وجمالي بالغ، والنفي هنا يؤكد سيطرة العقل والهم الوطني على وجدان الشاعر.

وتخفي قوله:

ومـا أنـا بـالّذي تُـغْريْهِ بـارِقةٌ *** مِنَ الوِصالِ ولا الهِجْرانُ يَهْدِمُني[3]

الإغراء فعل تأثيري بامتياز؛ لأنه يستهدف توجيه الإرادة، وقد نفى الشاعر وقوعه عليه.

وفي قوله:

ومـا أنـا بـالّذي تُـغْريْهِ بـارِقةٌ *** مِنَ الوِصالِ ولا الهِجْرانُ يَهْدِمُني[4]

الهدم هنا معنوي ونفسي، والفعل يكشف عن قوة الذات أمام الأزمات العاطفية.

وفي قوله:

فَقَدْ نَسيْتُ مِنَ الأَيّامِ أَعْذَبَها *** كَمَا تنـاسَيْتُ آهـاتٍ تُعَذِّبُني[5]

[1] المرجع السابق نفسه، ص89.
[2] المرجع السابق نفسه، ص89.
[3] المرجع السابق نفسه، ص89.
[4] المرجع السابق نفسه، ص89.

الفعل التأثيري في "تعذبني" يفيد الألم النفسي المستمر، غير أن الشاعر يضعه في سياق النسيان والتجاوز.

يمثل الفعل التأثيري في قصيدة "نداء" انعطافة تاريخية في ديوان الشاعر؛ حيث ينتقل الأثر من "الذاتية المفرطة" والاحتراق بنار الحرمان الشخصي، إلى "الموضوعية القومية" والاعتزاز بالانتماء، فالقصيدة تعمل كفعل "تحويل طاقة" من الألم العاطفي إلى البناء الوطني.

1.الفعل التأثيري في تجربة الشاعر (سيكولوجية التسامي):

يختبر الشاعر في هذه القصيدة حالة من "الاستغناء النفسي" الشامل، ويظهر أثر ذلك في:

- أثر "التحرر من القيد الجمالي في قوله:

لا الصَّدُّ يُشْجي ولا لُقياكَ تُسْعِدُني *** فَمَا أَنا مِثْلَ ما قَدْ كُنْتَ تَعْهَدُني[1]

يترك هذا المطلع أثراً يوحي بـ "التعافي الشعوري" الشاعر هنا يعلن تحرره من سلطة المحبوبة، فلم يعد الجمال (البلابل، الزهور) قادراً على فتنته، وأن هذا الأثر يمنح الشاعر شعوراً بـ "السيادة على الذات" بعد فترة من التبعية للوجد.

- **أثر "الذهول عن الألم" في قوله:**

نَسيْتُ ما كانَ مِنْ حُبٍّ ومَوْجِدَةٍ *** شُغِلْتُ عَنْها بِما يَصْبو لَهُ وطني![2]

في قوله: شغلت عنها بما يصبو له وطني

الفعل التأثيري هنا هو "الإحلال"؛ حيث أحلّ الشاعر هموم الوطن محل هموم القلب، وهذا الانتقال يترك في نفس الشاعر أثراً من القوة والصلابة.

وفي قوله: لن تعرف اليأس روحي

تضحية من أجل الوطن تحوّل "الشقاء" إلى "سعادة" بقوله: إن الشقاء بما يعليه يسعدني

- **أثر "الرسالية واليقظة"**: يتحول الشاعر من "شاكٍ" إلى "مبشر" و"هادٍ" هذا الدور الجديد يمنحه أثراً نفسياً إيجابياً، حيث يستعيد شعوره بـ "الشباب" والقدرة على الفعل (والشباب يدٌ، تسندني)، مما يمحو أثر "الهزال" والضعف الذي ظهر في قصائد الحرمان السابقة.

[5] المرجع السابق نفسه، ص90.

[1] المرجع السابق نفسه، ص89.

[2] المرجع السابق نفسه، ص90.

يمكن القول إن القصيدة تقوم على مرحلتين تداوليتين واضحتين: مرحلة التحرر العاطفي (الأبيات 1–6)، حيث تهيمن الأفعال التأثيرية المنفية التي تكشف زوال سلطان الحب وتأثيراته النفسية، ومرحلة الالتزام الوطني (الأبيات 7–11)، حيث تتصدر الأفعال الإنجازية المتمثلة في الوعد والعهد والحث والأمر والإرشاد، ويتحول الشاعر من عاشق منشغل بذاته إلى مواطن منشغل بأمته.

ومن ثم فإن البنية العميقة للقصيدة لا تتحدث عن نسيان الحبيب فحسب، بل عن استبدال الحب الفردي بحب الوطن، واستبدال الانفعال الوجداني بالفعل الحضاري، وهو ما منح النص قوة تأثيرية وإنجازية عالية، وجعل خاتمته أكثر إشراقًا وفاعلية من مطلعه.

النتائج:

توصّلت الدّراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات وهي كما يلي:

- توصلت الدراسة إلى أن الأفعال الكلامية تمثل مكوّنًا أساسيًا في تشكيل البنية التداولية للديوان، وأن الشاعر وظف الأفعال القولية والإنجازية والتأثيرية توظيفًا واعيًا لخدمة أغراضه التعبيرية والوجدانية.
- أدّى السياق المقامي دورًا حاسمًا في تحديد القوة الإنجازية للألفاظ، إذ تجاوزت كثير من التراكيب معانيها الحرفية إلى دلالات ضمنية.
- كشفت الدراسة عن تداخل المستويات الثلاثة للفعل الكلامي داخل النص الشعري، بما يؤكد وحدة العملية التواصلية وتكاملها.
- أسهمت الأفعال التأثيرية في بناء علاقة تفاعلية بين الشاعر والمتلقي، من خلال إثارة الانفعال الوجداني وتحفيز التأمل والمشاركة الشعورية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- آل سعود، عبد الله الفيصل. (1373هـ). ديوان وحي الحرمان. ط1. القاهرة: دار المعارف بمصر.
2- روقاب، جميلة. (2016). نظرية أفعال الكلام بين التراث العربي واللسانيات التداولية: أوستين وسورل نموذجًا. الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، (15)، 10–24.
3- الطبطبائي، طالب سيد. (1994). نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب. الكويت: مطبوعات جامعة الكويت.